القسم الثالث: قصيدة للشيخ حسين بن مبارك القطيفي

هذه أبيات للأديب الشيخ حسين بن مبارك نزيل القطيف، يمدح فيها الشيخ أحمد بن عبدالله، ويشكو إليه تقلب الدهر وأحواله:

تـــــنفس الصـــــبح والأنفـــــاس فـــــي لهـــــب ... منـــــي، وقـــــد ســـــح دمـــــع العـــــين بالســـــحب

فـــــي ليلـــــة طـــــاب شـــــجوي فـــــي دياجرهـــــا ... لقـــــل طـــــول يـــــدي مـــــا كـــــان مـــــن أربـــــي

دعنـــــي خليلـــــي، فمـــــا همـــــي هـــــوى دعـــــة ... ولا لفـــــوت وصـــــال الفتيـــــة العـــــرب

وإنمـــــا هـــــيج الشـــــكوى، وهـــــد قـــــوى الـــــ ... ـــــصبر الجميـــــل، وأضـــــحى الـــــروح بالوصـــــب

دهـــــر أذل الـــــرؤوس الصـــــيد مـــــن ضـــــعة ... وأصـــــعد الســـــوقة الأذنـــــاب فـــــي الرتـــــب

ومللـــــك الأســـــد ضـــــبان الفجـــــاج كمـــــا ... فـــــي البـــــيض ســـــود ســـــود النـــــوب بـــــالنوب

وأرشـــــف الســـــلســـــل الصـــــافي أراذلـــــه ... والقـــــادة الغـــــر أســـــقى الصـــــاب بالوصـــــب

مـــــا كـــــان ذا غيـــــر أنـــــي قـــــد طويـــــت علـــــى الـــــ ... ـــــتقوى حشـــــا، ووقيـــــت الـــــدين مـــــن عطـــــب

والقـــــوم بـــــاعوا بـــــدنيا الغيـــــر ديـــــنهم ... واســـــتعقبوا حـــــذر العقبـــــى ورا العقـــــب

ذاك الـــــذي دك طـــــودي عـــــن تطـــــاولهم ... واجتـــــاح طـــــولي، وأدنـــــي دونهـــــم طلبـــــي

واســـــبق الشـــــروط منـــــي خطـــــو ضـــــبطهم ... ولـــــيس عـــــن ســـــبق حســـــن كـــــان أو حســـــب

فكيـــــف يســـــبق فـــــي المضـــــمار جـــــود نضـــــى ... جرذانهـــــا فـــــي مـــــدى عـــــدو وفـــــي خبـــــب

أم كيـــــف تـــــولى بغـــــاث للطيـــــر ســـــلطنة ... علـــــى البـــــزاة، ويرخـــــى الـــــرأس للـــــذنب

وكيـــــف يجتـــــاز فـــــي البيـــــداء يرمعهـــــا ... فخـــــرا يفـــــوق ســـــناه لامـــــع الشـــــهب

وكيـــــف لا، والزمـــــان الخســـــف رب عمـــــ ... ـــــى فلـــــم يميـــــز بـــــين التـــــين والعنـــــب

والـــــدهر زاغ، فـــــولى آلـــــه وحبـــــا ... وآذن الرشـــــد، حيـــــث الرشـــــد بـــــالحرب

والوقـــــت قـــــد ســـــفهت أخلاقـــــه فعـــــلا الـــــ ... ـــــسفاه، وانحـــــط أهـــــل الفضـــــل والأدب

هـــذا الـــذي أذهـــل الألبـــاب مـــن دهـــش ... وقطـــع الـــنفس والأنفـــاس مـــن كـــرب

فـــلا معـــين علـــى هـــذا الزمـــان ومـــا ... أعـــدى علينـــا مـــن الإعـــلال والتعـــب

ولانصـــير، ولا ملجـــا يصـــون ســـوى ... نتيجـــة النجـــب مـــن أنصـــار خيـــر نبـــي

مـــولى مـــلا ســـاحة الآفـــاق فـــيض نـــدى ... ففـــاق كـــل ســـخي فـــي النـــدى وأب

وماجـــد ورث الأحســـاب كابرهـــا ... عـــن كـــابر، وحواهـــا حـــرث مكتســـب

أســـلافه فـــي العلـــى أقمـــار هالتهـــا ... لكنهـــا الـــدهر لـــم تـــنقص، ولـــم تغـــب

ذاك الهزبـــر بـــن عبـــدالله، أحمـــد مـــن ... حـــاز المحامـــد مـــن مجـــد ومـــن حســـب

نمتـــه مـــن عصـــب الأنصـــار أطولهـــا ... باعـــاً إلـــى الفخـــر مـــن خـــال أب وأب

بهـــم عـــلا قـــائم التوحيـــد واتضـــحت ... أنهاجـــه بـــالعوالي الســـمر والقضـــب

وفضـــله كمـــل ا لماضـــي، وزاد بمـــا ... لا يســـتطاع مـــن الآتـــي لمنتخـــب

وكيـــف لا وهـــو المرجـــو نائلـــه ... والمختشـــى الـــبطش فـــي رعـــب وفـــي زغـــب

مديـــد مجـــد، طويـــل الصـــيت وافـــره ... بســـيط خلـــق بجـــود غيـــر مقتضـــب

إيضـــاح مشـــكلها، كشـــاف معضـــلها ... تبيـــان خـــافي معـــاني غـــامض الكتـــب

كعـــب الســـماح إيـــاس الفهـــم حاتمهـــا ... فـــي الجـــود ســـبحان حـــول الـــنظم والخطـــب

فيـــا مـــلاذ بنـــي الآمـــال إن دهمـــت ... جلـــى الحـــوادث فـــي جـــد ولـــي لعـــب

ويـــا محـــط رجـــا اللاجـــي الضـــعيف عنـــا ... مـــن كـــل هـــول مـــن الأهـــوال مرتهـــب

عطفـــاً علينـــا بعـــين منـــك نـــاظرة ... مـــا نحـــن فيـــه مـــن الأشـــجان والســـخب

مـــن معشـــر مـــا رعـــوا فينـــا معاشـــرة ... ظلمـــاً، ومـــا ارتقبـــوا حقـــاً لمرتقـــب

بـــــل أيقنـــــوا أن فينـــــا الظلـــــم معدلـــــة ... والـــــزور والبهـــــت فينـــــا أقـــــرب القـــــرب

وأنـــــت أنـــــت المرّجـــــى فـــــي الخطـــــوب ومـــــا ... نخشـــــاه مـــــن تعـــــب يـــــدرى ومـــــن عتـــــب

فـــــلا تـــــزال بـــــه كهفـــــاً نلـــــوذ بـــــه ... فـــــي حـــــادث شـــــيب الأحـــــداث مـــــن كـــــأب

فـــــلا برحـــــت لنـــــا غوثـــــا وغيـــــث نـــــدى ... وناصـــــراً حيـــــث عـــــز النصـــــر مـــــن عصـــــب

واســـــلم ودم مـــــا تغنـــــى بـــــالعتيق علـــــى ... الأغصـــــان ســـــاجعة فـــــي الـــــدوح مـــــن طـــــرب

هـــــذا ونقـــــري ســـــلاماً لا يـــــزال وإن ... زال الزمـــــان بمنهـــــل ومنســـــكب

عليـــــك ثـــــم ســـــلام والرفـــــاق، ومـــــن ... يليـــــك مـــــن غيـــــر أحبـــــاب ومـــــن صـــــحب

أزكـــــى الســـــلام، وأوفـــــى الحمـــــد مـــــا صـــــدحت ... ورق، ومـــــا افتـــــر ثغـــــر الكـــــأس مـــــن حبـــــب